علم الاجتماع الأدب جدلية النقد والسوسيولجيا
(بحث في التنظير ورؤية العالم)

ا.م.د علاء طالب عبدالله

dr.alaatalib250@gmail.com

م.م. موج يوسف محمد

mouj.yosef@yahoo.com

الجامعة العراقية / كلية الآداب

sociology of literature dialegein criticism and Sociology (research and world vision)

Dr. Alaa Tali Abdullah

dr.alaatalib250@gmail.com

Maw yousif Mohammed

mouj.yosef@yahoo.com

Iraqi University/ College of Arts

المستخلص

إن جدلية علم اجتماع الأدب مازالت قائمة منذ خميسنيات القرن الماضي عندما أعلن الناقد الفرنسي لوسيان غولدمان أن الأدب ظاهرة اجتماعية ويحمل رؤية العالم، وثبت دعائم هذا العلم ، واستمرت الجدلية بين السوسولوجيا والنقد ولأنهما متداخلان ومنفتحان على العلوم الانسانية الأخرى شرع الباحثان في وضع الحدود الدقيقة بينهما، لا سيما أن التحليل المنهجي يتكأ على عينة محددة هي النص الأدبي وتحديداً الرواية والمسرح ، ويرى بعض النقاد العرب أن الشعر يمثل رؤية العالم ؛ لما يعبر عن رؤية الجماعات، لكن البحث رجح الرواية وفق أدلة موضوعية، كما أن الباحثيين تميل رؤيتهما إلى أن علم اجتماع الأدب هو الأقرب إلى النقد حتى وأن اقتربت تسميته لعلم الاجتماع .

الكلمات المفتاحية : علم اجتماع الأدب ، رؤية العالم . لوسيان غولدمان . التفسير . التأويل

Abstract

Verily, the Sociology of Literature has been and is still a phenomenon since the Fifties last century, when the critic, Lucian Goldman announced that literature is a sociological phenomenon and it carries a world-view and he fixed the pillars of this science, and the controversy between sociology and criticism continued, and because they are interconnected and open to other sciences of the humanities, researchers started to set fine borders between them, especially when the methodological analysis relies on a specific sample, which is the literary text, specifically novel and playwright and some Arab traditional critics see that poetry represents a world-view, in that it expresses how a social group view the world, but research outweighed novel according to objective proofs; and also that researchers tend to view sociology of literature as closer to criticism even though its name is associated with Sociology.

Keywords: Sociology of Literature, Weltanschauung, Lucian Goldman, Exegesis, Analysis.

المُقدِّمة

يصعب تحديد ملامح هكذا موضوعات بحثية ما لم يتمّ عرض النظريات والآراء التي قيلت فيه ومن ثمّ الترجيح الموضوعي لأي حقل ينتمي موضوعة علم اجتماع الأدب، لا سيما أنه يجمع بين العلم والأدب، وبين النقد والاجتماع، وبين هل هو نظرية أم منهج؟ من هذه التساؤلات والتي هي إشكاليات انطلق بحثنا؛ ليرصد الارهاصات الأولى التي فرضتها التحولات في ميداين المعرفة والفكر، أن ينشأ علم يتخذ من الأدب مادته الأولى، ومن المجتمع رؤاه التي تعد ثيمةً في النص الأدبي وتحديداً السردي.

ولأنَّ الجدلية الآنف ذكرها استمرت لعقود عدة من الخمسينيات إلى الألفية الأخيرة ولم تحسم بعد، لأسباب عدة منها: إن المنظرين الأوئل كانوا من فلاسفة ونقاد وعلماء اجتماع، و وكلّ هؤلاء انطلقوا من البنيوية التكونية فكان توجههم يجمع شتات العلوم الإنسانية، وعندما استقرت خطوات علم اجتماع الأدب على يد الفيلسوف والناقد الفرنسي لوسيان غولدمان في اطروحته التي ترجُمت بعنوان الإله الخفي التي تناول فيها مسرح راسين، وكتابه المنهجية في علم اجتماع الأدب الذي نظّر لهذا العلم على أنه منهج وليس نظرية، ولها معايير ومصطلحات لكنها لم تكتمل بسبب وفاته، وانتقلت النظرية الى منهج على يد تلميذه بير زيما في كتابه علم اجتماع النص، الذي انقلب على استاذه في التنظير والتطبيق ورأى أن كل النصوص هي تشكل ظاهرة اجتماعية.

وبعد،

فإن هذه التداخلات اعادت علم اجتماع الأدب إلى حالة اللاستقرار حتى بعد أن دخل إلى الدراسات العربية وتحديداً في مصر وكثرت الأبحاث والتطبيقات عنه لكنه ظل يُحسب على علم الاجتماع والمنهج الاجتماعي أو النقد الاجتماعي؛ فجاء بحثنا ليعالج الإشكالات التنظرية في هذا الجانب وتطلبت الدراسة أن تكون بثلاثة مباحث تتطرق

إلى قضايا مختلفة، للوصول إلى نتيجة موضوعية وفق ما يظن الباحث أنها تقترب من الصواب .

التمهيد

علم اجتماع الأدب بين التأصيل والتنظير

إنَّ تسمية(علم اجتماع الأدب) تفتح أبواباً من التساؤلات ، وربما إشكاليات تتعلق بقضية الجمع بين العلم و الأدب ، ومن جانب ثاني هل هو منهج اجتماعي يحلل النصّ من وجهة نظر اجتماعية؟ ما الأسباب التي أدّت إلى ولادة هذا المنهج أو النظرية ؟ وهل تطبيقاته تشمل جميع الأجناس الأدبية؟ ولعل الأهم من هذا إشكالية موقعه بالدراسات الإنسانية هل يصنف مع النقد أو فرع من فروع علم الإجتماع ؟ هذه التساؤلات الأولى ستجرنا إلى بحث عن جذوره الأساسية التي أزهر منها هذا العلم . إنّ البدايات الحقيقية له كانت في أحضان الفلسفات الحديثة في أوربا التي حررتها من سباتها العقلي ، ومن مقدساتها ، ولهذا المنهج نصيب منها أيضاً ، ولعل الإشارة الأولى له ظهرت في القرن التاسع عشر عند المفكرين ، والنقاد الأوربيين ، الذين بحثوا عن العلاقة الاجتماعية التي تؤثر على الأدب ، وكان مؤلف مدام دوستال بعنوان (الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية)[١]الصادر عام ١٨٨١ النواة الأولى التي حددتها هي علاقة المجتمع بالأدب وعلاقة مكانة المرأة اجتماعياً بتطور الرواية ومن هذا الجانب كانت لها إسهامات أولى في الفكر النسوي والنسوية[٢]. وما يهمنا بشكل أدق دور الفلاسفة في بلورة (علاقة الأدب بالمجتمع) والعكس ، فكان لهيغل إسهام مهم في فلسفته الجمالية التي سعى بها إلى ربط الرواية بالطبقات الإجتماعية ، ولا سيما البرجوازية عندما اعتبر انتقال المحلمة إلى الرواية وأن هذه الأخيرة تفريع من المحلمة ، لكنّ الذي يدخل ضمن موضوعة بحثنا هو رأيه : بأن الشكل الروائي الجديد ملتصقٌ

بالطبقة الاجتماعية وتحديداً صعود البرجوازية ، وهاجسها الأخلاقي ، والتعليمي الذي يؤدي إلى ثورة البطل الرومانسية أو سقوطه أو مكابرته ، ومعايشته المغامرة الروائية ، تقوده إلى الأوهام ؛ نتيجة الفارق الكبير القائم بين الواقع المرجو والواقع المعاش[٣].

وإنَّ الصراع الطبقي بين الجماعات البشرية كان له دورا في تسلل أفكار الجماعات إلى الرواية ، فصار الاهتمام بمضمونها أكثر من الشكل فضلاً عمّا طرحه هيغل من أفكار أسست لنظريات عديدة ومنها علم اجتماع الأدب الذي اتخذ من الرواية عينة لتطبيق أفكاره(سنوضحه لاحقا) . المنظّرون الروس منذ عام ١٨٣٤ لم يكونوا بمعزل عن هذا الإتجاه وتحديداً بيلنيسكي ثم تشيرنيفسكي ، ودوبر ليوبوف وما أطلقوا عليه تسميّة (النقد الثوري الديمقراطي) الذي يؤمن بالدور الاجتماعي للفن ، ويسعى إلى توجيه الأدب نحو حبّ الوطن والشعب ، وقد اتخذوا من أعمال بوشكن القصصية ، وتكراموف ، وسالتيكوف ، ميداناً للتطبيق.[٤]هذه الرؤى تكاد تقترب من علم اجتماع الأدب ، لكنها تبقى مطلقة في ميدان الأدب والنقد ، وقد ظل أنصار المذهب الاجتماعي في النقد الأدبي على امتداد القرن العشرين يؤكدون على هذه الأفكار[٥]. وبالرغم من أهمية هذه الطروحات السابقة الذكر الا أن انحراف ميخائيل باختين عن هيغل في طروحاته يبقى له الصدى الأوسع والأهم ، إذ يرى أن المحلمة أحادية الصوت ، بينما الرواية نصّ متعدد الأصوت ، وهذه التعددية الصوتية مرتبطة بالشعب ، وبمعنى أدق إنها مرتبطة بالطبقات الدنيا ، أو سواد الناس وتنطلق الرواية من زمن الحاضر (طبقات الناس)[٦] وقد تمّ رفض هذا التعريف واعتبار باختين مهرطق . وقد بلور نظرية الدلالة (التي تهتم بشكل النص الأدبي) وأدرجها ضمن تحليله السوسولوجي الأدب ، فرأى : إنَّ كلّ الايديولوجيات تختلف أشكالها ، دينية، أم فنية ، أم أدبية ، أم قانونية ، فهي نظام دلالي إلا أن هذا النظام ـ بحسب نظره ــ من حيث هو الشكل الذي لم يكن

لغوياً فقط ، بل تعبيراً إجتماعياً ، فالدلالة التي يقصدها باختين لا تربتط بالوعي الفردي أو بالداخل فحسب ، وإنما بالواقع الاجتماعي وهذا الأخير يرتبط بما هو خارج الوعي الفردي ، وبمعنى أدق : إنَّ الوعي الفردي لا ينشأ البنية الايديولوجية وإنما تقيم فيه فتسكن داخل الصرح الاجتماعي للدلالات الايديولوجية(٧). ونظرية الدلالة بحسب ما عرضناه سابقاً ترى إن وعي المبدع الا يأتي إلا ضمن الوعي الجمعي لا وعي ذاتي للمبدع . وعندما جاء من بعده جورج لوكاتش في (نظرية الرواية)(٨) وتحديداً في البنوية التكوينية ركز على وعي المبدع الذاتي والجماعي وحذا حذوه . وقد كانت البنيوية التكونية السهام التي أصابت جسد الدراسات الإنسانية ، وأثرت بشكل مباشر في نشأت علم اجتماع الأدب بشكل خاص ، فجورج لوكاتش في (نظرية الرواية) كشف عن العلاقة بين الاعمال الأدبية والبنية الاجتماعية فـ " الخيال لدى الروائي يتلخص على وجه التحديد في ابتكار حكاية وموقف لإبراز هذا الجوهر لدى الإنسان . وفي العناصر النموذجية الذاتية الاجتماعية ، وهذا لا يتمّ داخل العمل . ويستطيع كبار القصصاصين خلق صورة عن مجتماعتهم بفضل الموهبة في الابتكار التي تفرض تفهماً عميقاً لمشاكل المجتمع "(٩). لا يمكن عبور هذا الرأي من دون أن نقف عند مناقشته ، نظرية لوكاتش تؤكد أن البنبة الأولى من مشكلة اجتماعية ، لكن قبل ذلك لابد تفهّم هذه المشكلات بشكل عميق ثم صقلها بالخيال ، وهذا الأخير يساعد في ابتكار حكاية أو موقف مبتكر وهذا ما ينفي التعامل بواقعية مع الأدب(١٠)ويمكن عدّ رأي لوكاتش معياراً يجوز تطبيقه على الروايات التي سيتمّ دراستها (هل عالجت مشكلات اجتماعية ؟ وهل كان الكاتب واعياً بطرح المشكلات ؟ وهل هناك تطابق بين الرواية الواقع بشكل تام ؟) . ممّا تقدم نرى أن اهتمام الفلاسفة والنقاد قد أنصب على المضمون (الأفكار في الرواية)وكما معروف أن النصّ الأدبي يتكأ على ركنين

أساسسين هما : الشكل والمضمون ، وهذا ما يدعونا للتساؤل : هل كان هناك اهتماماً بالشكل الفني ولا سيما اللغة ؟ وكما هو معروف إنّ واللغة هي بنت المجتمع التي ترصد تحولاته عبر التطور الدلالي الذي يصيب الكلمات . باخيتن في كتابه (الكلمة في الرواية) رأى إنّ " الرواية تنوع كلامي وأحياناً لغوي اجتماعي منظّم فنياً وتباين أصوات فردية . والتفكك الداخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية وطرق خاصة بمجموعات معينة"(١١)، فالكلمة لا توظف بشكل عبثي ومجرد دخولها في سياق معين تكون حيّة ، وناطقة عن الأفكار العامة ووجهات نظرهم المختلفة ، وفي الرواية تكون الكلمة في الحوار بين الشخصيات ، وصوت الرواي ، كما لا نغفل عن ذكر اللهجات المحلية التي تكون عادةً موظّفة في الحوار الروائي ، والتي تعبّر عن طبقة اجتماعية معينة . ما قدمناه سابقاً من رؤى هي منابع أولى تصب في علم اجتماع الأدب ومنهجيته ، وهذا الأخير لم يكن وليد المصادفات أو الترف العلمي ، بل ضرورة معرفية ، وعلمية أسرعت بولادته ومنها محاولة إنقاذ الشكل الروائي كما زعم صاحبه لوسيان وهذا ما سنوضحه بشكل مفصل.

المبحث الأول :

علم اجتماع الأدب المصطلح والمنهجيه

ما يزال علم اجتماع الأدب غامض المعالم ، غائبة المنهجية عنه ، هل هو حقل نقدي أم فرع من فروع علم الإجتماع؟ وهل هو المنهج الاجتماعي الذي عرفته المناهج النقدية الحديثة؟ وهل يمكن حصره في خانة الدراسات الثقافية؟ مثل هكذا إشكاليات تصادف الباحث ، وغيرها سنتطرق لها لاحقاً . وسبق وأن ذكرنا إن جورج لوكاتش في (نظرية الرواية) وعند منهجه البنيوية التكوينية قد أسهم بشكل فعّال في بلورته ، لكن ولادة هذا العلم لم تتمّ الا على يد الفليسوف والناقد الفرنسي (لوسيان غولدمان ١٩١٣

ـ ١٩٧٠) وذلك في إطروحته للدكتوراه التي حملت عنوان (الإله المخفي دراسة في الرؤيا المأساوية لأفكار باسكال ومسرح راسين)[١٢]. إنَّ الخطوط الأولى التي خطها لويسان تشير أنه يريد من علم اجتماع الأدب أن يكون جدلياً ، فمقولة الكلية التي أعتمد عليها (الكل والجزء) في صميم الفكر الجدلي نفسه ، وهذا ما يدل عليه عندما وضع مصطلح (النقد الاجتماعي أو الناقد الاجتماعي) وهو يحاور الأعمال الأدبية ، والفلسفية ، من وجهة نظر ايديولوجيتها ، و من الربط الخيالي الذي يربط الأفراد بظروفهم الحقيقية في الوجود[١٣]. إن هذه الجدلية كانت عائقاً في وضع تعريف لعلم اجتماع الأدب ، فهو للوهلة الأولى يظن أنه يحمل في كفه العديد من المناهج والنظريات التي لا يمكن جمعها في تعريف موحد ومتدرج ، لكننا نستطيع أن نوضح مفهومه العام وفق ما اصطلحه لوسيان في أطروحته (رؤية العالم) التي كانت اللبنة الأولى لنظريته ، ولا نغفل عن هذا المصطلح الذي يشتبك عند بعض الباحثين العرب الذين يرون أن مرادفاً للبنيونة التكوينة ، فما تعني رؤية العالم؟

يرى لوسيان إن رؤية العالم هي بالتحديد " المجموع من التطلعات ، والمشاعر، والأفكار التي تجمع بين أعضاء المجموعة الواحدة وغالبا الطبقة الاجتماعية الواحدة وتعارضها المجموعات الأخرى"[١٤] وهذه الرؤية المقصودة في العمل الأدبي ، فيتضح أنه لا يرى ذاتية خاصة عند الكاتب ولا فكر خاص به وهذا ما جعله يستبدل مصطلح (الوعي الجمعي) بمصطلح آخر ، وهذه الإشكالية أخرى: فكيف لا فكر خاص للكاتب ولا وعي جمعي ؟ فيقول : " ليس الوعي الجمعي أيضاً كياناً ثابتاً فوق فردي يتعارض خارجياً مع الأفراد ، فالوعي الجمعي لا يوجد الا في وعي كل فرد وهو ليس مجموعاً لها . والمصطلح بالمناسبة غير موصوف وغامض فنحن نفضل مصطلح وعي المجموعة"[١٥] ؛ لذا نراه ربط الأفكار والمشاعر بالمجموعة ، وما تعارضها من مجموعة

أخرى فهي التي يعني بها رؤية العالم . وبحسب أعتقادنا إن الوعي الجمعي يختلف من كاتب لآخر ويقترب عند أغلبية معينة في أمور مشتركة كالقضايا الإنسانية ، والهم الوطني ، وغيرها وهذا لا نجده الا عند أفراد متميزين ؛ لذا استعمال وعي المجموعة يعني وعي الطبقة وهو شامل فيتلاءم مع رؤية العالم ، وهذا الأخير وجد نفسه في المنهج الجدلي وهذا المنهج هو الأساس الوضعي والعلمي لمفهوم رؤية العالم مع دمجه في فكر الأفراد في مجموع الحياة الاجتماعية ولا سيما بتحليل الوظيفة التاريخية للطبقات الاجتماعية ، وبنزع كل طابع اعتباطي ونظري وميتافيزيقي عن هذا المفهوم[١٦]. ولأنَّ لوسيان أنطلق من بنيوية لوكاتش ، لكنّه تعارض مع مفهوم أستاذه ، وهذا ما جعله يذهب إلى الكاتب العبقري ـ فبحسب وصفه ـ لا يحتاج الا للتعبير عن حدسه ومشاعره لكي يقول ما هو جوهري لعصره ولتحولاته التي خضع لها ، فالعقبرية دائماً تقدمية ، ولن تنطلق من حياة الكاتب ولا من عمله فقط ، ولا يمكن الإفادة من العمل الفني الا إذا شكل خطوة أولى ضرورية على الطريق الذي يؤدي إليه[١٧]. ويضيف

إن المراحل الثلاث لهذا المنهج تقوم على (النص) رؤية العالم ، مجموع الحياة الفكرية والعاطفية للمجموعة ، وعي المجموعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية[١٨]. ويكون المنظور الجدلي مقابل مراحل المنهج الثلاث السابق ذكرها وهنا يقع الباحث في صعوبة التحليل ، ممّا جعل لويسان يجترحُ خطواتاً إجرائية بمصطلحات أخرى تدعم رؤية العالم للتوغل داخل النص الأدبي الذي لا يخلو من بنية دلالية في النصّ الروائي تكون هي البوصلة الأولى لتحديد إتجاهات رؤى الجماعات . ممّا تقدم هو الجانب الأول لعلم اجتماع الأدب الذي ولد من البنيوية التكونية ، لكنه لم يكن البار لها ، فانحرف عنها ولم يبق لوسيان واقفاً عند حدود اللغة فحسب ، بل تعدى إلى بنى أخرى وهذا ما سيتمّ توضحيه .

١ . المنهجية لعلم اجتماع الأدب

اطروحة (الإله المخفي) بحسب ما قدمناه لم تكن كافية لوضع الأسس المتينة لمنهج توزع بين الفلسفة ، والاجتماع ، والنقد ، واللسانيات ممّا تطلب من لوسيان أن يؤلف كتاباً يبث فيه أفكاره المنهجية وهذا الكتاب بعنوان : (المنهجية في علم اجتماع الأدب)[١٩]استند فيها إلى خمسة منطلقات علم اجتماع الأدب وهي :

١ . العلاقة الجوهرية بين الحياة الإجتماعية والإبداع الأدبي لا تهتم بمضمون هذين القطاعين من الواقع البشري ، بل تهتم فقط في البنى الذهينة وهي ما يمكن تسميته بالمقولات التي تنظم في وقت واحد الوعي التجريبي لفئة اجتماعية معينة ، والكون التخيلي الذي يبدعه الكاتب[٢٠].

٢ . تجربة الفرد هي تجربة أكثر إيجازاً ، وأكثر تقلصاً من أن تقدر على خلق بنية ذهنية من هذا النوع . ولا يمكن لهذه الأخيرة (البنية الذهنية) أن تفصح الا عن النشاط المشترك لعدد مهم من الأفراد في وضعية مماثلة ، اي من الأفراد الذين يشكلون فئة اجتماعية ذات أمتياز والذين عاشوا لوقت طويل وبطريقة مكثفة من المشاكل وجدوا في البحث حلّ ذي دلالة لها . بمعنى أدق إن البنى الذهنية ما هي الا ظاهرة اجتماعية .

٣ . العلاقة المشار إليها بين بينة الوعي الخاص بفئة اجتماعية ما والبنية التي تنظم كون العمل الأدبي تكون في أكثر الأحوال ملائمة الباحث متماثلة تماثلاً دقيقاً بهذا القدر أو ذاك ، الا أنها غالباً ما تشكل علاقة ذات دلالة .

٤ . إذ إنطلقنا من هذا المفهوم يمكن أن ندرس قمم الإبداع مثلما ندرس الأعمال المتوسطة فحسب (بمعنى كلّ ما تمّ تصنيفه بأنه عمل أدبي يمكن دراسته)

٥ . البنى المقولاتية التي تنظم الوعي الجمعي والتي يتمّ نلقها من الكون التخيلي من طرف الفنان ، ليست واعية ، وليست واعية بالمعنى الفرويدي للكلمة ، ذلك المعنى الذي يفترض كتبا ما ، ولكنها سيرورات غير واعية مماثلة من بعض الجوانب ، لتلك التي تنظم عمل البنى العضلية أو العصبية وتحدد الطابع الخاص لحركتنا وإيماءاتنا دون أن تكون بسبب ذلك لا مكبوتة ولا غير واعية[٢١]. وهذه البنى التي أشار إليها في النقاط المذكرة لا يمكن الكشف عنها الا وفق بحث من النمط (البنيوي السوسيولوجي) ، هذه المنطلقات هي أشبه بالمعايير التي تؤهل الناقد للصعود إلى المستويين اللذين وضع لهما مصطلحات خاصة وهما : ـ

(الفهم ، والتفسير أو التأويل)

إنَّ هاتين الثنائيتن تكملان التأسيسات المنهجية التي شق طريقها لوسيان ، فمنها يتمكّن الناقد من فك شيفرات النصّ ، ولعل أوّلها : ـ

ـــ الفهم

قدم غلودمان الفهم على التفسير فيرى إن " الفهم مسألة تتعلق بالتماسك الباطني للنصّ ، وهو يفترض أن تناول النص حرفياً . كلّ النص ولا شيء سوى النص . وإن البحث بداخله عن بنية شاملة ذات دلالة"[٢٢]، فيكون الفهم بمعنى آخر الوصف الدقيق ، ما أمكن لبنية ذاتية دلالية ، فمثله في ذلك مثل إية طريقة ذهنية التي يولها الباحث أهتماماً مباشراً لموضوعه ، اي بالتعاطف أو النفور أو على العكس ، ويأتي الوصف عاملاً مساعداً للباحث على الفهم[٢٣] . وهذا الأخير ما هو الا عملية البحث والكشف عن بنية دالة للموضوع المراد دراسته وهو الذي يحدد التي ينظر إليها الأديب (وهذا المعيار الذي سنعتمده في فصول الدراسة) . ومن بعدها يأتي دور التفسير أو التأويل .

ـ التفسير أو التأويل

المصطلحان ظهرا عند غولدمان بشكل متلاصق وبحسب ظني أنه وضع التأويل غير مرداف للتفسير ؛ لبيعد الأخير عن الظن بأنه يعني شرح العمل الأدبي ، ويحقق مفهموم الجدلية أيضا الذي أشرنا إليه سابقاً . إن التفسير يعني : " البحث عن الذات الفردية أو الجماعة التي أحدثت البنية الذهنية المنظمة للعمل الأدبي وبفضلها صار طابعاً وظيفياً ذا دلالة"[٢٤] وما أن يتمّ العثور على هذه البنية الذهنية حتى يقوم بإدراجها من حيث هي عنصر مكوّن ، ووظيفي في بنية شاملة مباشرة ، لا يسبرها الباحث بطريقة مفصلة وأنما بالقدر الضروري لجعل العمل الذي يدرسه مفهوماً[٢٥]. ومن الملفت للنظر إن (الفهم والتفسير) كلاهما لم ينفكا عن البنية الشاملة ، والذهنية ، والدلالية وهذا ما جعلنا نسأل هل البنية هي كل شيء في المنهج اللوسياني ؟ لم يغب عن لوسيان مثل هكذا تساؤلات تثير إي باحث . يذكر لوسيان عند تناول موضوعاً للدرس يكفي أن تأخذ البنية الشاملة له ، حتى يصبح

فهماً ما كان مجرد تفسير وحتى يجد البحث التفسيري نفسه مرغماً على الاستناد بينة جديدة أكثر إتساعاً[٢٦]؛ ولتقترب الفكرة نعود للإله المخفي الذي درس فيه خواطر الفيلسوف باسكال ومسرح راسين ، فإن عملية فهم الخواطر والمآسي هي من قادت لوسيان إلى الكشف عن

(الرؤية) المكنونة داخل البنية الدالة المنتظمة لكل هذه الأعمال ، وهذا ما جعله يقسم عمله في الإله المخفي بحسب الرؤى التي مثلت أفكار وعواطف الجماعات فكان القسم بعنوان (الرؤية التراجيدية) وهذه الأخيرة هي البنية الشاملة التي تفرعت منها أجزاء

صغيرة وبهذا اتبع منهج الكل والجزء ، الكل / الرؤية التراجيدية ، الجزء / الله ، العالم ، الإنسان .

بينما القسم الثاني الكل / رؤية العالم ، والجزء / الطبقات الاجتماعية (الينسينية وطبقة النبلاء والقضاة). وهذه البنى الشاملة وفروعها لها طابع علمي ونظري وتطبيقي في آن واحد ، ولا يمكن (تفسيرها وفهمها) الا من خلال منظور يستند على قبول مجموعة من القيم) . إنَّ الموضوعة التي قدمناها سابقاً كانت، المعاير ، والمنهج ، وأهم مصطلحات هذا العلم في كتب لوسيان وقد عمدنا لنقل المعلومات منها بشكل مباشر ؛ كي لا نشتبك مع الناقلين من فروع لوسيان ومنهجيته ـ بالرغم من الباحثين العرب لم يعودوا الى الكتب الأصلية وهذا ما نثبته لاحقا ــ وكذلك لتكون خطوات البحث وفق المنهج . ولا يفوتنا ذكر قضية أخرى إن غولدمان بعد الإنتهاء من وضع أساس المنهج أنتقل لمرحلة أخرى وهي العمل على تطبيقه في النص الأدبي ولا سيما الروائي ، وكان كتابه بعنوان

(سوسيولوجيا الرواية)[٢٧] وربما هذا ما يثير إشكالية أخرى هل هذا منهج فرعي من علم اجتماع الأدب ؟ قد يظن الباحث أنهما منهجان بحكم اختلاف التسمية ، لكننا عثرنا على رأي لغولدمان في كتابه (سوسيولوجيا الرواية) يوضح فيه ما يعنيه بهذه الأخيرة فيقول فيها إنها تتناول " مشكلة العلاقة بين الشكل الروائي وبنية الوسط الاجتماعي الذي تطور هذا الشكل داخله اي بين الرواية نوع أدبي والمجتمع الفرداني"[٢٨] وهذه الرأي لا يتخلف كثيراً عن طروحاته السابقة، لكنه بدأ بالعمل على النص الروائي بشكل أدق ، فالحياة اليومية في المجتمعات كان لها الأثر في تغير الشكل الروائي ، فيرى إن المبدعَ المطابق للبنية العقلية لهذه الجماعة الاجتماعية ، أو تلك يمكن أن يكون تمّ إعداده في بعض الحالات النادرة ، والفرد لا تربطه بهذه الجماعة الا سوى

علاقات قليلة ، والطابع الاجتماعي للمبدع بوجه خاص لا يسمح له أن يقيم بنفسه بنية عقلية متماسكة متطابقة مع مايسمى رؤية العالم[٢٩]. فهو ينفي أن تكون بنية عقلية خاصة للمبدع ما لم يكن المجتمع له دوراً في صناعتها . ونعتقد أن هذه الطروحات لا تختلف عن سابقتها ، لكن الفرق إن لوسيان في هذا الكتاب جعل الرواية هي العينة الأم لإكمال مشروعه الذي توقف بموته ، لعل ما يلفت إليه أنظار الباحثين أنه حاول أن يحافظ على الشكل الروائي بإعطائه مضموناً قريباً من الرواية التقليدية (وقد كانت هذه الأخيرة الشكل الأمثل للبحث الإشكالي ولغياب القيم الوضعية) ، فالرواية الجديدة المعاصرة ـ تلك المرحلة ـ التي بدأت مع كافكا وقد تميزت بمحاولة استبدال البطل الإشكالي ، والسيرة الفردية بواقع آخر[٣٠]. حالة التحول في الرواية والمجتمع تطلبت أن يلتف حول الروية وهذه الأخيرة في مضمونها روح المجتمع ، وتحولاته ، فيقوم الأديب بالمكاشفات عن المشكلات وآفاتها .

٢ . بعد علم إجتماع الأدب

إنَّ هذا المنهج الحيّوي قد سمح أن تولد منه مناهج أخرى متعددة ؛ فهو يحمل اسم (علم) وهذا الأخير خاضع للتطور ، والتبلور ، والإتحاد مع علم آخر . كذلك طبيعة المنهج التي تناسلت من علوم إنسانية شتى (فلسفة ، علم اجتماع ، علم نفس ، بنيوية تكونية) وتجمعت في رحم الأدب . ومن بين أهم المناهج التي جاءت من بعد علم اجتماع الأدب هو (علم اجتماع النص)[٣١]الذي يعود إلى مؤسسه (بير زيما) تلميذ غولدمان في كتابه الذي جاء بعنوان (النقد الاجتماعي) الصادر عام ١٩٨٥ وقد ترجمته د. عايدة لطفي ومراجعة : د. أمينة رشيد وسيد بحراوي . ينطلق من تحليل الخطاب اللغوي / الاجتماعي أو اللهجات الجماعية في النص بإعتبارها بنى اجتماعية بالماهية ، وتحمل خصائص اللحظة التاريخية التي ينتمي إليها . وقد يقع الباحث في

حالة تشتت معرفي بين المنهج الذي حمل عنوان (علم اجتماع النص) وبين الكتاب الشارح لهذا المنهج بعنوان (النقد الاجتماعي)!

وهذا لم يفت عن زيما فيقول : " إن النقد الاجتماعي للنصوص ، وعلم اجتماع النص هما مترادفان ، وأن كلمة النقد الاجتماعي أصبحت أكثر تداولاً"[٣٢] ويركز على قضية مهمة وهي : معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية ، والمصالح الاجتماعية في مستويات الدلالة والتركيبة السردية للنص[٣٣]، ويفهم السياق الصوتي والسردي كوقائع إجتماعية بالمستوى الدلالي[٣٤]. فمنهجية زيما تبدأ وتنتهي من النص لا غير .. وقد استفاد من طروحات استاذه وكذلك من جورج لوكاتش لكنه أنحرف عنهم .

المبحث الثاني : علم اجتماع الأدب بمفهومه العربي

إنَّ العنوان الذي وضعته لا يخلو من تساؤلات بحثية : هل عرفت العلوم الإنسانية العربية في عصرها الحديث هذا المنهج ؟ أو أسسست لما يقترب منه ؟ أم أتكأت عليه كما فعلت سابقاً مع مناهج النقد الأدبي ونظرياته ، وباقي العلوم الإنسانية ؟ بحسب أعتقادي إن هناك دراسات عربية[٣٥]قد استفادت من علم اجتماع الأدب حتى وأن لم تأخذ بمنهج غولدمان بشكل دقيق ، بل نلحظ أن الناقد العربي قد طبقه على الشعر أكثر من السرد .

وإنّ أول من عرض علم اجتماع الأدب على مائدة الدراسات العربية بشكل نهم ، فكان أولى محاضراته في هذا الميدان وحملت نفس الأسم وقد جمّعها بكتاب[٣٦] ، كان الأول له ـ كما أظن ــ في العالم العربي ، يشرح المنهج بشكل واسع . وقد رأى د. البحراوي إن علم اجتماع الأدب الذي نشأ في أوربا وانتقل إلى العالم العربي في مراحله المختلفة ، دون أن يكون للباحثين العرب إسهاماً فعّالاً في تطويره أو توجيهه إلى الواجهة التي توجّه إليها العلوم[٣٧]. وقد استطاع سيد بحراوي بفعل هذا الرأي أن

يشق فرعاً من المنهج في كتابه بعنوان (المدخل الاجتماعي للأدب من علم اجتماع الأدب إلى النقد الاجتماعي) ولم يخرج من عباءة لوسيان وتنظيراته ، لكنّ الفرق إن التطبيق الإجرائي كان على نماذج شعرية منها للشاعر صلاح جاهين ، وكشف فيه عن المستوى الاجتماعي بقصائد الشاعر ،والطبقات ومنها قضايا الفلاحين فالقصيدة بعنوان (زي الفلاحين) كتبت بعامية مصر عام ١٩٥١ و بإيقاع الشعر الحر ، اختياره لهذه القصيدة ؛ لأنها شكلٌ ومضمون بحسب ما يرى يمكن تطبيق المنهج عليها أو النقد الاجتماعي [٣٨]. الدكتور البحراوي لم يكتفِ بما قدمه ، فظلت شهية البحث عنده مفتوحة وقد وضع نظرية (محتوى الشكل) وهي خلاصة خرج بيها من (علم اجتماع الأدب وعلم اجتماع النص) ، فصدرت بكتاب عنوانه (محتوى الشكل في الرواية العربية النصوص المصرية الأولى) ، وقد درس دلالة الشكل الأدبي من وجهة نظر إجتماعية ، بمعنى : الدلالة الاجتماعية للشكل الأدبي ، وقد بيّن ذلك قائلاً : " إن محتوى الشكل في العمل هو أساساً داخل النص أو العمل ، غير أنه متصل إتصالاً وثيقاً بمختلف الأطراف المساهمة في العملية الأدبية أو الفنية"[٣٩] ، فالشكل المقصود عنده هو المجتمع[٤٠]. وفي دراسته نلحظ أن جميع المشارب الثقافية تخضع لهذا التحليل المنهجي ، فهو لا يقتصر على النص الأدبي ، بل الفنون ، التشكيل ، السينما ، العمارة ، الملابس ، تخطيط المدن ؛ لما فيها من دلالات اجتماعية . ربما مصر هي أكثر دولة عربية ، لبّت نداء نظريات لويسان ، فتزامن مع سيد بحراوي باحث وناقد اجتماعي آخر هو سيد يسن ، ففي كتابه (التحليل الاجتماعي)[٤١].

وقد أثار قضية النقد الأدبي وعلم اجتماع الأدب وميّز بينهما ، فرأى أن النقد الأدبي في سعيه نحو اكتشاف الدلالات في إطار أنساق خاصة به لا يسعى نحو بحث الصراع في المجتمع ، لكن علم اجتماع الأدب بحكم أنه فرع من فروع علم اجتماع أولاً

، وبحكم أنه يندرج تحت علم الاجتماع ثانياً ، لا يمكن تصور أنه في بحوثه أن يغفل من حسابه مقولة الصراع في المجتمع[٤٢]. وما يمكن ملاحظته أن السيد يسين قد خنق النقد الأدبي بالشكل الفني ، والصور وغيرها ، ونفى عنه البحث عن المضمون ، ولا سيما الاجتماعي أو حتى النفسي ، ووسع من دائرة علم اجتماع الأدب الذي جعله يحيط بجميع النص من الداخل والخارج ، وهذا يظهر ضعف دقته في معرفة عوالم النقد الحديثة ، والجانب الآخر أنه ركز على علم اجتماع الادب أنه فرع من فروع علم الاجتماع ، ونحن وضحنا سابقاً ولادة المنهج وظروف نشأته وتبين أنه ليس فرعاً من فروعه.

إنني وقفتُ عند أهم من تناولا هذا الميدان[٤٣] ، في الجانب العربي مع التحديثات التي أجرياها على المنهج ، ولا سيما شمل جميع الفنون بحسب تصور بحراوي ، بينما يسين أضاف المسح الميداني . بالتأكيد هذه الإضافات لها قيمة ؛ فمن جهة حررت علم اجتماع الأدب من الغموض الذي أصابه بسبب تداخله مع الفلسفات الجدلية ، ومن جهة أخرى بثت فيه الحيوية في نقد الظاهرة الاجتماعية ، بالرغم من أن النقد كان منصباً على رصد الجوانب الاجتماعية ، والنفسية ، والفكرية ، وكذلك فنية النص من حيث الجودة والرداءة .

المبحث الثالث : علم اجتماع الأدب في العراق

إنّ هذا الميدان قد يكون أخذ خفّه في الدراسات والتنظير والتطبيق ، وذاع صيته على مستوى العالم ، لكن في العراق بدأ متأخراً ، وكان ظهوره خجولاً . لا أنوي إطلاق أحكام مطلقة أو مقدمة ، فلا بد من عرض الدراسات التي معظمها حمل المسمّى لهذا المنهج ، والآخر اقترب منه ، وأخرى حاولت أن تعلن ريادتها في هذا الميادن الذي لم يعرفه العالم ولا الدراسات الإنسانية (وهي أخر دراسة صدرت بالعراق نوضحها لاحقاً)

. بحسب اعتقادي أن أول دراسة في العراق في ثمانينات القرن الماضي للدكتور نوري حمودي القيسي بعنوان (محاولات في دراسة علم اجتماع الأدب)[٤٤]وقد ذكر في مقدمة الكتاب أنه حاول في هذه الدراسة إن يدخل إلى الأدب من باب آخر ، ويتحدث عن الحياة بأسلوب مغاير، فأنصب

اختياره على المواقف التي

تعطي الأدب لّوناً له مذاقه الخاص . وإن ما حمله على هذا التوجّه المشاهد التي ألتقطها في حياته وكانت قد أثرت به بشكل خاص[٤٥]. إن مثل هذا الكلام يجعلنا نسأل هل الباحث كان أديباً؟ وله علم بالموضوعات الاجتماعية التي تؤثر في ذات الأديب ويبثّها في أدبه ؟ أم كان ناقداً إجتماعياً ورصدَ الموضوعات أو المظاهر الاجتماعية في الأدب (قصة ، رواية ، شعر ، مسرح ...) ؟ إن تسمية الكتاب هي فقط تخص المنهج ، أما المضمون فهو بعيد عنه ركز المظاهر الاجتماعية . ولعل الدراسة الثانية كانت أنضج من سابقتها وهي دراسة أكاديمية بعنوان (ابن حداد الأندلسي دراسة في ضوء علم اجتماع الأدب)[٤٦] للباحثة سؤودة محمد جاسم ، وهي رسالة ماستر في جامعة بغداد كلية ابن الرشد عام ٢٠١٢.

و الدراسة الأخرى وهي بحث منشور بعنوان (رسالة الصاحب بن عبّاد : التبشير بالفتوح اختياراً دراسة نقدية في ضوء علم الاجتماع الادبي)[٤٧]. والدراسة الأهم ـ باعتقادي ـ كانت لباحثة الاجتماع الدكتورة لاهاي عبدالحسين في كتابها بعنوان (من الأدب إلى العلم دراسة في علم اجتماع القصة والرواية للفترة من ١٩٢٠ ــ ٢٠٢٠) الصادرة عن دار الشؤون الثقافية عام ٢٠٢١ . وهذه دراسة قد أثارت جدلاً في الأواسط الثقافية العراقية ؛ لما عليها من مآخذ وقد كتبت ذلك في مقالة بعنوان (علم اجتماع أم علم اجتماع الأدب)[٤٨].

أما الإشكاليات استوقفتني فبعضها تتعلق : بالعنوان ، والمنهج ، والخطوات الإجرائية ، والتطبيقات المختارة . وهذه قد تكون طبيعة ؛ كونها أولى المحاولات البحثية بعلم لم يكتب له الظهور بشكل ناضج ببلدنا وهذا ما كشفته شخصياً عند بحثي عن دراسات بعلم اجتماع الأدب على مستوى العراق ، فلم أجد الا إشارات ضعيفة من الباحثين في هذا التخصص قالوا :إن هذا الفرع قد تطرقوا إليه في دراساتهم . ولا بد من عرض بعض إشكاليات دراسة د. لاهاي، والعتبة الأولى من العنوان. فيه إشكاليتان هما : الخطأ اللغوي في لفظ (للفترة ١٩٢٠ ـ ٢٠٢٠) وهذا لا يطلق على الزمان ، بل الأصح أن يقال (للمدّة ١٩٢٠ ، ٢٠٢٠). والأخرى : في تحديد المنهج المعنون :(دراسة في علم اجتماع القصة والرواية) ، لكني في مضمون الدراسة لم أجد هذا المنهج المحدد ، بل عثرت على منهج (علم اجتماع الأدب) والباحثة قد حددّته في تقديمها قائلة : " يلاحظ أنه لا وجود لتعريف شامل لما يعرف اليوم بعلم اجتماع الأدب فقد ظهر هذا الفرع من فروع علم الاجتماع في أواسط سبعينات القرن الماضي في انكلترا وفرنسا بفضل جهود اجتماعين متخصصين رصدوا تقديم الأدب على علم الاجتماع بتناول قضايا ذات مضامين اجتماعية مهمة من قبيل العلاقات الاجتماعية. بقي علم الاجتماع مع ذلك موضوع تساؤل وتشكيك حول إمكانية اعتباره فرعاً علمياً يتحصن بعدة منهجية ونظرية محددة"[٤٩]. تتضح توجهات الدراسة بحسب قولها بإنها تسير وفق علم اجتماع الأدب هذا يتعارض مع العنوان علم اجتماع القصة والرواية ، واقتراحي المتواضع للعنوان هو : (القصة والرواية العراقية دراسة في علم اجتماع الأدب للمدة ١٩٢٠ ـ ٢٠٢٠) . والإشكالية الأخرى المتعلقة بالتعريف والمنهج فكما هو موضح أن د. لاهاي نفت وجود اعتراف شامل لهذا العلم ؛ فغاب عن الدراسة اي تعريف بسيط للقارئ ، وربما عدم سعة الإطلاع على باقي الدراسات من قبل الباحثة قادها إلى هذا

الرأي ، .وحتى مؤسسه لوسيان غولدمان في كتابه الإله المخفي ، وهذا الأخير في غياب تام عن بحثها . وفي الجانب العربي لم نعثر على اسم باحث عربي له ذكر أو مساهمة بهذا الميدان يبدو أنها فقيرة الإطلاع على النتاج العربي . هل الدراسة بعلم اجتماع العام أم الأدب ؟ هذا التساؤل بسبب وجود الرواد المؤسسين له وذلك في العنوان الذي وضعته المؤلفة (علماء مهدوا لعلم اجتماع الأدب) ونذكرهم بحسب ترتيبها : (كارل ماركس ، سيجموند فرويد ، جورج لوكاتش ، ماكس فيبر كارل مانيهام ، ايميل دور كهايم ، سي رايت ملز ، إرفينغ كوفمان ، علي الوردي) فهؤلاء بحسب د. لاهاي قاموا بإنشاء الطريق الأول لهذا العلم ، لكنني أرى أن هؤلاء دورهم بعلم الاجتماع بحت عدا جورج لوكاتش . ولعل المنزلق الأخطر يبقى الباحث وهو يقرأ هذه الدراسة يسأل ماهو علم اجتماع الأدب ؟ ماهي خطواته في التحليل ؟ ولا سيما لم نجد تحليلاً بل رصد الظواهر الاجتماعية الموجودة بالقصة العراقية والرواية ، ووضعت ملخصاً لكل قصة من دون تحليل يعتمد على رؤيا العالم أو الشرح والفهم والتفسير . كذلك اختارت الكتّاب لدراستها هم (عبدالحق فاضل ، غائب طعمة فرمان ، فؤاد التكرلي ، أنعام كجه جي ، فلاح رحيم ، جاسم المطير) بكافة أعمالهم السردية من دون أن نجدها تذكر معياراً لاختيار هؤلاء عن غيرهم سوى أنهم بسحب ما ذكرت قد كتبوا فيما أسماه " لوكاس الواقعية الأدبية بدليل اهتمامهم بالشأن الاجتماعي العام"[٥٠] ولا نعلم من هو لوكاس!! لكني أظن أنه جورج لوكاش الذي اسهم في وضع أساس علم اجتماع الجدلي في كتابه (نظرية الرواية) المشار إليه سابقاً ، وقد أسهم بشكل فعال في مدرسة الواقعية الأدبية ، وربما لو أطلعتْ الدكتورة على كتاب لوكاش بعنوان (دراسات في الواقعية) بترجمة نايف بلّوز الصادر عام بطبعة ثانية عام ١٩٨٥ واختياره للنماذج الروائية ؛ لما اقتصرت عند هؤلاء ، الأمر الأخر أن التكرلي وغائب طعمان فرمان لم

تكن كتابتهم بقصدية وفق هذا التوجه وأنما في خمسينات القرن الماضي وما بعدها كان التوجه الفكري الماركسي هو السائد ، فمن الطبيعي أن تكون رؤياتهم وفق هموم المجتمع والطبقات الفقيرة . والكتّاب الآخرين لم يكتبوا وفق الواقعية في الأدب . فهذا المعيار مخلل ممّا أوقع الباحثة بهذا المطب . إن ما يهمنا من عرض هذه الدراسات ومناقشتها ليس للتقليل من شأن أصحابها ، بل لرصد نقط الضعف ، والصواب ، وغيرها ؛ ليكون عملنا البحثي موضوعي ودقيق في توظيف المنهج ، واختيار نماذج الدراسة وتحليل المضمون ، وقياس جودة الشكل الفني وفق متطلبات منهجنا .

الخاتمة

١ . طروحة جورج لوكاتش في نظرية الرواية والتي اقرَّ فيها بأن البنية الأولى في الأدب تنطلق من مشكلة اجتماعية كانت الأنطلاقة الأولى لعلم اجتماع الأدب

٢ . عندما جاء لوسيان غولدمان بطروحته في الإله المخفي ليؤسس نظرية علم اجتماع الأدب ارد لها أن تكون نظرية جدلية لا سيما أنه اتكأ على المنهج الفلسفي الجدلي في نظرية الكل والجزء الفلسفية .

٣ . قام علم اجتماع الأدب عند لوسيان على مصطلح رؤية العالم والتي من خلاله يمكن فهم ما تفكر به الطبقات الاجتماعية وقد عبر عنه الأدباء في رؤياتهم .

٤ . إن مصطلح الفهم الذي ركز عليه غولدمان يعني به الوصف الدقيق للدلالة الذاتية للموضوع الأدبي ، وشرط توفره في النص الأدبي .

٥ . ولد من رحم علم اجتماع الأدب منهج اخر وهو علم اجتماع الذي اهتم باللهجات المحكية وليس باللغة وهذا المنهج الذي صار اكثر رواجاً في الدراسات العالمية ومن ثم العربية وتحديداً في مصر .

٦ . إن انتقال علم اجتماع الأدب والنص إلى العالم العربي كان متأخراً عن طريق الترجمات في البعثات الدراسية المصرية إلى فرنسا فتمت ترجمة أعمال لوسيان وبير زيما من قبل سيد بحراوي ثم اشتغل في هذا الحقل بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، ولم يضف له شيئا سوى أنه طبق النظريات على الشعر وهي محلها السرد.

٧ . دخل المسح الميداني إلى جانب التحليل النقدي وهذا ما قام به سيد ياسين استاذ علم الاجتماع في مصر .

٩ . تأخر العراق في الالتفات إلى علم الاجتماع الادب بالرغم من وجود التسميات ككتاب نوري حمودي القيسي بعنوان (محاولات في دراسات علم اجتماع الأدب) الذي حمل التسمية فقط لكن مضمونه كان مختلفاً .

الهوامش :

---

(١) انطلقت مدام ستال من قضية في الأصل اجتماعية وهي مدى تأثير الدين والتقاليد والقانون على الأدب ، وهذه القضية أفردت لها فصلاً كاملاً من كتابها (غير المترجم للعربية وقد وردت إشارات عنه عند النقاد سيد بحراوي ومحمد غنيمي هلال وسيد سين) فرأت أن الأدب لا يمكن أن يشق جماله الا مع مع وجود الأخلاق والحرية والفضيلة والشرف وهذه الفضائل هي التي نبحث عنها في المجتمع والنظام الاجتمتاعي يقوم عليها وهو الذي يبشر بسعادة . كما أن النظام الذي وظف هذه الفضائل التي تجمع بين الأدب والمجتمع ومنها يصل الإنسان إلى أعلى مستوى من إنسانتيه في مساعدة الآخرين . ولعل الأهم في كتابها أنها قامت بتفسير أزدهار الرواية في المجتمعات الأوربية وقد رأت أن هذا الجنس الأدبي (الرواية لا يمكن أن تتطور وترتقي في المجتمعات ما لم تكن هذه الأخيرة تحظى المرأة فيها بمكانة عالية ، ومحترمة من جانب الأفراد والجماعات . وترى أن ضعف الرواية في مجتمع ما ايطاليا مثلاُ يعود لكونهم لا يقيمون للمرأة الا القدر الضئيل من الاحترام ، بالعكس من المجتمعات الانكليزية التي أدركت دور المرأة الفعّال في المجتمع وهذا ما جعل الرواية تنتعش ولا سيما مع الطبقة البرجوازية التي نشأت في تلك المرحلة . وقد اضافت ستال إن المرأة في الطبقة البرجوازية كانت تشعر بالفراغ فما كان الا للرواية أن تسد جوع فراغها بالقراءة وترى أن الأدب ما هو الا انعكاس اجتماعي لمجتمع ما وأن الشرائع والقوانين يكاد يرجع كل التحالف أو التشابه الفكري بين الامم لكن البيئة فيها شيء من الاختلاف . أما التربية العامة بين الطبقات الاجتماعية فهي وليدة النظم السياسية هي تربط الانتاج الأدبي بالمظاهر الاجتماعية .

(٢) Mme.destal: Deltt erarure Conideree:dansses Rapports avec les Tnstiutions ,Parts 1881 chap. 38 ,40 ,41 .

وينظر: الأدب المقارن : محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة . بيروت ط٢ ، ١٩٦٢ . ص : ٤٤ ، ٤٥ .

وينظر: المدخل الاجتماعي للأدب من علم اجتماع الادب إلى النقد الأدبي الشامل : سيد بحراوي ، دار الثقافة العربية . مصر د. ط د.ت : ص ٢٠ .

(٣) ينظر: المحلمة والرواية (دراسة الرواية مسائل في المنهجية) : ميخائل باختين ، ترجمة : جمال شحيد ، الهيئة القومية للبحث العلمي . طرابلس ، معهد الانماء بيروت ، ط١ ١٩٨٢ : ص ٩ ، ١٠ .

(٤) ينظر: في سبيل الواقعية (بيلنسكي ، تيشر نيشيفسكي ، دوربرليوبوف) : لافريتسكي ، ترجمة: د. نصيف التكريتي ، مراجعة حياة شرارة ، دار المعرفة . بيروت ط١ ١٩٧٤ : ص ٦ .

(٥) وقد سيطرت نظرية هيغل على باقي النقاد ولعل دراسة أرنولد كيتل عن الواقعية والحكاية تؤكد سبب ظهور الرواية يعود إلى رغبة الطبقة البرجوازية الناشئة في تمزيق الحجب الخيالية ، وتأتي الانتقالة الاخرى على يد بير ماشيري في كتابه من من أجل نظرية الانتاج الادبي فيبدأ نظريته بأن صورة الواقع التي تعكسها مرآة النص الادبي ودعا إلى الإكتفاء بتحليل النص ، فيقوده التحليل إلى نتيجة مفادها إن الايديولجيات المختلفة تصير مكونات أولية للنصّ وهي لا تملك نفس القوة التي تمتلكها في الواقع لأنها محاصرة بوجود بعضها إلى جانب بعض اولا وبحكم القرّاء ثانياً إذ تتعدد التأويلات وتبقى ايديولجية المؤلف المستمدة من واقعه ومجتمعه . ثم بيّن النص ككل (المعبر عن ايديولوجية المؤلف ، وبين محتواه ، ونتشأ عن هذا الاصطراع رؤية الكاتب (التي صارت فيما بعد رؤيا العالم في علم اجتماع الادب) . ينظر: لماذا ظهرت الرواية : ارتولد كيتل ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، مجلة الاديب المعاصر العدد ٤ المجلد ٣ عام ١٩٧٥ : ص ١٣٤ ، ١٣٧ .

(٦) ينظر: الملحمة والرواية : ميخائيل باختين : ترجمة جمال شحيد ، الفكر العربي ـ بيروت ط١ ١٩٨٢ : ص ١٦ .

(٧) ينظر: المحلمة والرواية : ميخائيل باختين : ص ١٧ .

(٨) يمكن القول إن جورج لوكاتش من المؤسسين الأوائل (لسوسيولجيا الأدب) فنظرية الرواية كتابه النقدي حاول أن يؤسس فيه لرأي علمي حول الأعمال الأدبية (فجمع بين العلم والأدب) وقد رأى إن تطورات الإبداع الأدبي هي ترجمة واقعية لتطورات يشهدها المجتمع . ولم يقف عند هذا الحدّ بل جاء بكتاب آخر هو الرواية التاريخية الصادر عام ١٩٣٢ . وهذا الكتاب أدق من سابقه حول هذه المسألة ورأى أن التحولات الاجتماعية هي التي بدورها تؤثر على الأدب . وقد تناول في كتابه روايات والتر سكوت الكلاسيكة ورأى أن أسلوبه في المعالجة شمل عمليات تخفيض الأفراد طبيقاً ، ناظراً إليهم دائماً اجتماعياً وتفهمه لمشاكل الحاضر ليس على درجة من العمق تكفي ليصور بها مشكلة التخفيض الطبقي . ويرى أن توظيف الشخصيات في الروايات الكلاسيكة ومنها الشخصيات التاريخية والهامشية التي تعبر عن النظالات الشعبية هي ليست تزظيفات شخصية (خاصة به) أو نفسية بل هي موصوعية واجتماعية وكل روائي يحاول الكشف عن الظروف الفعلية للحياة والأزمة النامية الفعلية

في حياة الناس . ينظر: الرواية التاريخة : جورج لوكاتش ، ترجمة : د. صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية . بغداد ط٢ ١٩٨٦ : ص ٣٤ ، ٤٠ .

(٩) نظرية الرواية : جورج لوكاتش : ترجمة وتقديم : نزيه الشوفي ، دار كيوان للطباعة والنشر ، ط٢ ٢٠١٦ : ص ٣٣ .

(١٠) وما كشف عن لوكاتش في نظرية الرواية من كتابات الروائيين بلزاك وأميل زولا التي استمدت الأحداث والشخوص وما تعيش من صراع في المرحلة الجوهرية من مراحل المجتمع البرجوازي ، فأميل زولا تتخذ كتاتبه التوفيق بين العلاقات الاجتماعية والانسانية ، بالمقابل يرى أن العمل في الرواية من حيث هو صورة للواقع الاجتماعي ولتطور المجتمع . وقد لاحظ لوكاتش عند صعود البرجوازية صار الروائي سكرتير الحياة الخاصة ، حيث تقلصت الآفات التاريخية العالمية التي كانت حبيسة في بدايات الرواية ، واقتصر عالم الرواية الجديد على لواقع اليومي للحياة البرجوازية ، والواقع اليومي تحول لتجسيد الحياة النفسية إلى دليل ضد التقاليد البالية والرواسب القاتلة التي ينطوي عليا المجتمع الاقطاعي الارستقراطي وكلما صار الكتّاب قادرين على السير قدماً من أجل تجسيد أوضاعهم الاجتماعية بصورة أشمل وأعمق . وإن كتابات جان جاك روسو و(آلام فرتر) لغوته تشكل القمم التقدمية لهذه النزعة وقد عملا إلى تفكك الشكل الروائي في عصر الرومانتكية . ينظر: نظرية الرواية : ص ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٦ .

(١١) الكلمة في الرواية : ميخائيل باختين ، ترجمة : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق ط١ ١٩٨٨ : ص ١١ .

(١٢) الإله المخفي الاطروحة التي قدمها لوسيان لنيل الدكتوراه ، وطبعت كتاب فيما بعد حمل العنوان ذاته ، وقد قدم فيه لوسيان أبحاثاً عن الينسينية وباسكال وراسين ، وقد أثار فيها جدلاً عندما نشر كتابه . يتجه لوسيان في طروحاته إلى محتويات الفكر ، بل نحو البنية الخطية الأولى للفكر الجمعي ؛ وبنحو التأثير الذي يمكن أن يمارسه ، فهو يدرس البنيات المفارقة ـ المتعارضة . للفكر التراجيدي بمقاربة أعمال باسكال الفلسفية وراسين المسرحية وبتحديده في قلب الينسينية المجموعة الاجتماعية ، والتيار الايدولوجي ، اللذين يكشفان الظروف الاجتماعية والفكرية التي أدت إلى ولادة هذه الاعمال ، فالمجموعة الاجتماعية التي عبر عنها باسكال وراسين ويعبران من خلالها عن رؤيا العالم وإن كانت ضمنية تتألف أساساً من البرجوازية ، وطبقة النبلاء ، والقضاء ، والأوساط البرلمانية . عندها تتوضح البنيات الأدبية ، ففي التراجيديا ليست بنيات الفكر أو رؤية العالم بنيات الطبقة الاجتماعية ، بل المجموعة الاجتماعية . إن فكرة الرؤية التي يعبر عنها كانت التعبير النفساني عن العلاقة بين بعض المجموعات الانسانية ووسطها الاجتماعي والطبيعي ، وعددها محدود بالضرورة خلال المرحلة

التاريخية الطويلة . ورؤى العالم لا تقل تعبيراً عن ردّ فعل مجموعة من الكائنات المستمرة نسبيا مع هذا التعدد في الوضعيات الواقعية . والفكرة الاساسية من منهجه بحسب قوله : هي أن الاعمال الأدبية تشكل دائماً بنيات دلالية شاملة ذات طابع علمي ، ونظري وإنفعالي في آن معاً . وأن هذه البينات لا يمكن أن تُدرس بطريقة وضعية ، ي أن تُشرَح وتُفهم (أدوات المنهج) الا من منظور علمي قائم على قبول مجموعة معينة من القيم . الدراسة كانت تصب في الرؤية التراجيدية فكان القسم الاول عنها فوصفها واستخدمها في دراسة خواطر ومسرح راسين واثبت أنها تشكل من بين عناصر أخرى الجوهر المشترك للحركة الينسينية المتطرفة . والقسم الثاني لخواطر باسكل والفلسفة والنقد عند كانط ، والاخير خاص بمسرح راسين . ويذكر أن دراسته كانت مختلفة عن دراسات لوكاتش في البنونية التكوينة .

(١٣) ينظر: الإله المخفي : لوسيان غولدمان ، ترجمة د. زبيدة القاضي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة . دمشق ط١ ، ٢٠١٠ : ص ٨ .

*هناك ترجمة أخرى لهذا الكتاب أو الاطروحة بعنوان الإله المحتجب دراسة عن الرؤية المأساوية في الأفكار لباسكال وفي مسرح راسين ، ترجمة : عزيزة أحمد سعيد ، مراجعة : أنور غيث ، صادرة عن المركز القومي للترجمة في مصر عام ٢٠١٥ طبعتها الأولى . وقد لاحظنا فوارق بين الكتابين لكنها ليست كبيرة . وويسكون أعتماد دراستنا على الترجمة الأولى ؛ لما فيها من توضحيات مهمة ولا سيما تقديم المترجمة د. زبيدة التي بسطت فيه أفكار لوسيان التي تبدو للوهلة الأولى صعبة على الباحث لما فيها من فلسفات متعددة بين الهيغلية ، ثم التداخل من أفكار لوكاتش ومقولات باسكال الفلسفية .

(١٤) الإله المخفي : لوسيان غولدمان : ص ٤٦ .

(١٥) المصدر السابق : ٥٠

(١٦) ينظر: المصدر السابق : ص ١٤ .

(١٧) ينظر: المصدر السابق: ص ١٦٢ .

(١٨) ا ينظر: الإله المخفي : ص ١٦٢ .

(١٩) الكتاب في الأصل مقالة بحثية مطولة يشرح فيها كيفة التحليل وسير خطوات العمل وفق هذا المنهج ، وأنطلق من الأساس الثاني لعلم اجتماع الادب (جدلي تكويني) بمعنى أن الوقائع البشرية أجوبة لذات فردية اجتماعية تشكل في جملتها لمحاولة تعديل وضع معين نحو إتجاه لطوحته ، وهذا يستتبع أن كلّ سلوك وكل حدث بشري يتملك طابعاً ذا دلالة . وإن الباحث يشكف عنه من خلال عمله ؛ ولكي يفهم ـ الباحث في علم إجتماع الادب ـ العمل الذي هو بصدد دراسته أن يتقيد في المقام بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النصّ وذلك استناداً إلى أمور أساسية وهي : إحاطى

الباحث بمجمل النص وأن لا يضيف إليه اي شيء ، طارحاً تساؤلاته (كيف) وهذه التساؤلات تستتبع عدداً كبيراً من النتائج بعمق . ولعل من بين أهم الملاحظات المنهجية التي وقف عندها لوسيان : إن علم اجتماع الأدب وخصص (النقد بوجه عام) أن يعامل النوايا الواعية للكاتب على أنه مجرد علامة من بين علامات عديدة أخرى . وعلى أنها نوع من التأمل في العمل الأدبي ، ولا يحمل إليه سوى بعض الاقتراحات مثله في ذلك مثل إي مؤلف نقدي آخر . ثم عليه أن يصدر حكمه على جودة النص دون أن يعطيه أدنى امتياز ، وهذه الملاحظة الأخيرة وهي ضمن المنهجية تعطي للباحث أو الناقد في هذا الميدان أن يصدر حكمه بعد التحليل وقد لاحظنا غولدمان عندما حلل الأعمال السردية (مسرح وراويات) لعدد من الأدباء منهم سارتر واستن بول رويال .

(٢٠) ينظر : المنهجية في علم اجتماع الأدب : لوسيان غولدمان ، ترجمة : مصطفى المسناوي ، دار الحداثة للطباعة والنشر . بيروت ، ط١ ١٩٨٢ : ص ١٠

(٢١) ينظر: المنهجية في علم اجتماع الادب : ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢٢) المنهجية في علم اجتماع الأدب : ص ١٤ .

(٢٣) ينظر: المصدر السابق : ١٣ .

(٢٤) المصدر السابق : ١٧ .

(٢٥) ينظر: المصدر السابق : ص ١٧ .

(٢٦) ينظر: المنهجية في علم الاجتماع : ص ١٧ .

(٢٧) هذا الكتاب ما هو الا مجموعة بحوث ، فالفصول الثلاثة الأولى من الكتاب هي بحوث نشرها في العدد الثاني من مجلة معهد السوسيولجيا في بروسكل الذي خصص لسوسيولوجيا الرواية ، ومن هذه الفصول دراسة خاصة بالرواية الجديدة والواقع الاجتماعي . والفصل الرابع بحث كتبه لإحدى المجلات الامريكية . ويصوغ في دراسته هذه فريضة عامية حول الترابط بين تاريخ الشكل الروائي ، وتاريخ الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، معتمداً على منهج البنيوي الداخل والسوسيولجي ، ويرى أن مشكلات سوسيولوجيا الشكل الروائي طروحة مثيرة للحماس وهي مهمة في تجديد السوسيولوجيا الثقافية (وقد تحول هذا المصطلح فيما بعد إلى سويوثقافي) والنقد ايضاً . إن أهمّ رأي أكد عليه في كتابه هذا وسابقاً في أبحاثه إن الفاعل الحقيقي في الإبداع الثقافي هو فعلاً الجماعات الاجتماعية لا الأفراد المنعزلون ؛ لكن الفرد المبدع يؤلف جزءاً من الجماعة ، غالباً بفعل ودلاته أو وضعه الاجتماعي ، ودائماً بالدلالة الموضوعية لمبدعه ، ويحتل فيها مكانة ليست حاسمة ولا شك أنها ممتازة . وإن المنظور الذي برى في الجماعة الفاعل الحقيقي في الإبداع يمكنه أن يأخذ بعين الاعتبار دور الكاتب وأن يقوم بدمجه في تحليله .

(٢٨) مقدمات سوسيولوجيا الرواية : لوسيان غولدمان ، ترجمة : بدر الدين عروكي ، مكتبة الاسكدرية ط١ ، ١٩٩٣ : ص ٢٣ .

(٢٩) ينظر: المصدر السابق : ص ٢٥ .

(٣٠) ينزر: المصدر السابق : ص ٣٠ .

(٣١) من بعد موت لوسيان كانت هناك إسهامات في تطوير علم اجتماع الأدب من قبل تلاميذه ومنهم : جاك لينهارت في كتابه (سياسية الرواية) الصادر عام ١٩٨٣ وقد طبق أفكار لوسيان التي طبقها في الادب وقد رأى أن العلاقة اليومية والمحكي عند الناس يتعنمد بشكل أساس على مسلّمات الخطاب الذي يعبّر عن معنى يعتمد بصفة أساسية على مدى استعمال الناس له . ويعد جاك لينهارت أنه جاء ليدعم منهج استاذه لوسيان . وكذلك تمليذ لوسيان الآخر يوري لوتمان في كتابه (بنية النص الأدبي) كذلك أنطلق من منطلقات استاذه لكنه أضاف عليها عندما وقف عند جدلية النص ورأى أن مستويات النص الادبي الداخلية والخارجية هي علاقات جدلية بين النص وما يحيط به من الخارج غير أنه توصل إلى أن اللغة الطبيعية هي نموذج أول العالم واللغات النوعية (الشعرية والأدبية) هي نموذج ثانوي في النص وهي مضمونه ولعل الأضافة التي جاء بيها لوتيمان أنه طبق هذا المنهج على الشعر ايضاً .

(٣٢) النقد الاجتماعي : حول علم اجتماع النص بير زيما ، ترجمة : عايدة لطفي ، مراجعة : د. امينة رشيد ، د سيد بحراوي ، دار الفكر للدراسات والتوزيع ط١ ١٩٩١ : ص ١١ .

(٣٣) ينظر: المصدر السابق : ص ١٢ .

(٣٤) ينظر : المصدر السابق ك ص ١٣ .

(٣٥) كتاب (سوسيولجيا الغزل العربي) الطاهر حبيب ، الصادر عام ١٩٨٧ قد استوحى دراسته من أبحاث علم اجتماع الأدب عند لوسيان بعد وفاته وقد أنطلق من رؤيا العالم عند الشعراء العذريين . كتاب (البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام) محمد رشيد ثابت الذي صدر عام ١٩٨٠ وقد تأثر بهذه الطروحات . دراسة أخرى بعنوان (سوسيولجية بنائية لرواية المعلم علي) لحميداني حميد .هذه الدراسات كانت متاثرة بعلم اجتماع الأدب مجرد طبقت المنهج على الأدب في (الشعر والنثر) .

(٣٦) الدراسة بعنوان (علم اجتماع الأدب) صدر عام ١٩٩٢ وهي كُتيب صغير جمع فيه محاضراته التي ألقاها في جامعة القاهرة القاهرة بقسم اللغة العربية إذ كانت مادة مستقلة تُدرس كما يمكن أن يعدّ فيه طلاب الدراسات العليا بحوثاً للماستر والدكتوراه . في هذا الكتاب يقدم سيد بحراوي مفاهيم اساسية عامة وتنظير مبسط عن ماهية علم اجتماع الأدب رواده ونشأته ، ودور الماركسية ايضاً فيه

، ومدرسة فرانكفورت . وما لفت نظري لم أجده قد قدم قراءة أو إشارات مهمة لكتاب لوسيان الإله المخفي بل مر عليه مروراً عابراً اكتفى بذكر اسم الكتاب فقط . لكنه في الفصل الثالث الذي جاء بعنوان (الامبريقية ودراسات جمهور الأدب) فيعد المنهج الامبريقي أحد فروع علم اجتماع الأدب ويعالج (الإنتاج والتوزيع والاستهلاك للكتاب الأدبي) ، كذلك يعالج العناصر المؤثرة في الكتاب وإنتاجه ومسألة الجيل الذي ينتمي إليه الكاتب ، ويهتم بدور التمويل في حياته ، وإن كانت مهنته كافية لإعاشته أم لا . واستهلاك القارئ للكتاب ومن هم جمهور الأدب ومدى سعة انتشار العمل الأدبي ، وعدد الطبعات وفق إحصائية رسمية من دور النشر . إن الأمبريقية تسهل على الباحث أو الناقد اختيار العمل الأدبي لدراسته وفق هذا المنهج . وفي الفصل الرابع (من علم اجتماع إلى محتوى الشكل) فيضع مآخذ على بير زيما كونه ركز على النض بأنه لغة لا غير ، ورأى أن . بحراوي . النص يحمل انساقاً متعددة لغوية وغير لغوية وتأثير شكل النص ودلالاته كل هذه تأخذ بالحسبان . الكتاب بصفحاته الستين وضع فيه أهم المصادر والمراجع لدراسة علم اجتماع الأدب .

(٣٧) ينظر: علم اجتماع الأدب : د. سيد بحراوي : الشركة العالمية للنشر ـ لونجمان ط١ ١٩٩٢ : ص ١ المقدمة

(٣٨) ينظر: المدخل الاجتماعي للأدب (من علم اجتماع الأدب إلى النقد الاجتماعي الشامل) : د. سيد بحراوي ، دار الثقافة العربية . مصر ، د.ط د.ت . ص ١١٤ .

(٣٩) محتوى الشكل في الرواية العربية (النصوص المصرية الأولى) : د. سيد بحراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ط ١ ١٩٩٦ : ص ٢٤ .

(٤٠) بحسب تعبيره إن الشكل متصل بالمجتمع الذي يقدم المواد الخام ، والتي تسمى شكل الشكل ، وهو متصل بالمتلقي الذي يتلقى المحتوى ، محكوماً بمثل جمالي ناتج عن وضع هذ المتلقي (الاجتماعي الطبقي الفئوي) ، فمحتوى الشكل هو المفتاح الأساسي لدراسة النص ، والعمل الفني ليس كعمل يتأثر بالمجتمع بوصفه عملاً اجتماعياً ، ظاهرة اجتماعية بذاتها ، وهذه الأفكار اشار إليها لوسيان من منطلقه الأول الأدب ظاهرة اجتماعية . ويرى بحراوي ليس ثمة شكل ومضمون لأن الاخير الا مضمون الشكل وليس ثمة نص وسياق ، لأن النص سياقي واجتماعي . ويرى عند تحليل الشكل / النص فأننا نحلل في الوقت ذاته المضمون الاجتماعي . ينظر: محتوى الشكل : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤١) قدم في دراسته تأصيلاً لعلم اجتماع الأدب ، صدر الكتاب بطبعتين الأولى عام ١٩٧٠ ولم تكن سوى تنظيرات لأهم أفكار لوسيان أما الثانية فقد صدرت عام ١٩٨٢ وما يميز هذه الطبعة أنها مزودة بشرح وافي للمنهج مع تطبيق على العديد من الروايات المصرية عند جمال غيطاني ويوسف

زيدان وقبل التحليل عمد إلى مسح ميداني للظواهر الاجتماعية الموجودة في الرواية . وهذا ما يميز سيد سين في دراسته هذه .

(٤٢) ينظر: التحليل الاجتماعي : السيد يسن ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ط٢ ، ١٩٨٢ : ص ٩٣ .

(٤٣) وهناك دراسة عربية لا نغفل عن أهميتها بعنوان (علم اجتماع الأدب) للدكتور عبدالله العرفج وهي بحث مشور بمجلة العربية في السعودية عام ٢٠١٩ وقف الباحث عند ركائز مهمة في هذا الميدان منطلقاً من الفصل الأول (موضوع علم اجتماع الأدب) وقد رأى أن اللهجات الخاصة بمجموعات اجتماعية معينة تجد طريقها سواء كانت مهنية ام ايديولجوجية المجسدة للهويات تجد طريقها إلى النص الادبي ويمكن اكتشافها من خلاله ، بل حتى الشعر وهو الاكثر رمزية والأكثر إغراقاً بالخيال فلغته الشعرية تتأثر بالبيئة والمحيط الاجتماعي ويورد أمثلة في ذلك من الشعر العربي القديم كقصة علي بن الجهم مع الخليفة العباسي . وقد درس في الفصل الثاني الخليفة التاريخية لعلم اجتماع الأدب ورأى أن التسمية الأولى كانت في اربعينيات القرن الماضي على يد الفرنسي (غي ميشو) في كتابه مدخل إلى علم الأدب والذي نشر عام ١٩٥٠ . وكانت نشأة علم اجتماع الادب كاملة في ذلك الوقت . و الفصل الرابع بعنوان العلاقة بين الادب والمجتمع . أما الفصل الخامس فكان بعنوان الاتجاهات النظرية في علم اجتماع الادب وقد وقد عند الدراسات العربية السابقة واسهاماتها ولعل من بينها الاتجاه الامريبقي الذي يعد من أهم الاتجاهات في المنهج والذي أشرنا إليه سابقاً . وقد ناقش كل الطروحات في هذا الجانب منها البنونية التكونية بتطورها من حقل اللسانيات عند دي سوسير إلى بير زيما في علم اجتماع النص الذي يرى أن الرابط بين المجتمع والأدب هو اللغة . وختم البحث بالفصل الخامس البحث في علم اجتماع الأدب وهذا الفصل فيه طرق تحليل النص الأدبي بشكل متطور وقد رأى أن التحليل لا يقتصر على المضمون الادبي الكمي بل التحليل الكيفي .

(٤٤) تناول الدكتور القيسي في كتابه الظواهر الاجتماعية التي تؤثر على الأدب بشكل خاص ، فكانت موضوعات الكتاب متعددة منها : التوجه القومي في دراسة السير الشعبية ، الحنين والغربة في الشعر العربي ، النسب إلى الأم عند العرب بين نظام الأمومة والطوطمية ووأدّ البنات بين الواقع والحكم المطلق وهذه الظواهر عامة في المجتمعات العربية . لكن القسم الثاني كان خاصاً ببغداد منها : عن الحرف والاصناف والنقابات في العراق ، غزل الشعر والواقع الاجتماعي ، نداءات الباعة في الموروث البغدادي ، المقاهي ووظائفها الاجتماعية في بغداد القديمة ، مقاهي بغداد والقصة (خون) ، سير البطولة من الألعاب . الطعام في بغداد ، أحاديث بغدادية . وما نلاحظه في الكتاب أن الدكتور

أهتم بعرض المظاهر أو الظواهر الاجتماعية من دون أن نجد صلتها بالأدب ، بل لم نجد أي تحليل اجتماعي لها (نعلم أنه ليس من اختصاصه) ، لكن تسمية الكتاب تجعلنا نسأل عن أين الأدب ؟

(٤٥) ينظر: محاولات في دراسة علم اجتماع الأدب : د. نوري حمودي القيسي ، دار الشوؤن الثقافية العامة . بغداد ط١ ١٩٨٧ : ص ٤

(٤٦) درست الباحثة الشاعر من جوانب عدة الفصل الاول (البنية الاجتماعية واثرها في أسلوبية الشاعر) وقد ركزت على الجوانب الحياتية عند الشاعر منها المهن والوظائف والوقائع التي أثرت على صياغته الشعرية . والفصل الثاني بعنوان (البعد السوسيولوجي لابن حداد ودلالاته الرمزية وتضمن مباحث ثلاث ، الاول الاتجاه السيميائي عند ابن حداد ، والثاني الاختزال البنيوي الامثال والتقاليد ، الفصل الثالث المحرم اللغوي فكان بمباحث (تحليل الخطاب التواصلي وأنماطه ، التداولية ووسائل الاقناع) ما يمكن أخذه على الدراسة أنها ظلت داخل حدود الدرس اللغوي من جهة فالتداولية والأسلوبية هي الميزة الطاغية على البحث ، والسيمائية والبنونية ايضا فلا نجد سير الدراسة وفق المنهج المخصص لها . كذلك من خلال قرائتنا للتمهيد نجد أن الباحثة بدأت تنظيرها للمنهج من تنظيرات (جاك لينهارت) وقد ذكرنا سايقاً أنه تلميذ لوسيان فكيف يتمّ البدأ من المنتصف ؟ ولعل الأهم كيف يتم دراسة الشعر في هذا المنهج وهو قد خصص بحسب لوسيان ومن بعده في السرد ؟

(٤٧) نشرت هذه الدراسة مؤخراً عام ٢٠٢١ في مجلة العميد الفصلية للباحث م.د زكي عباس راضي المجلد ١٠ . وقد تناول فيها رسائل بن عباد وفق هذا المنهج واعتمد على التفسير والفهم . الدراسة كانت ناضجة وفق تطبيق المنهج على الرسائل باعتبارها فن أدبي .

(٤٨) المقالة منشورة في جريدة الصباح العراقية ٢٩ كانون الأول ٢٠٢١ بعنوان علم اجتماع الادب ام علم اجتماع ؟ العدد ٥٣٠٠. فضلا عن مقالات عديدة كتبت عنها من قبل النقاد والأكاديمين منها مقالة د. نادية هناوي (في كتاب من العلم الى الادب اغلاط البحث الاجتماعي) في جريدة القدس العربي واخرى لنفس الاكاديمية بعنوان (حين يكون النقد الادبي مطيّة للأدعياء والطارئين) في جريدة الزمان الدولية في كلا المقالتين قد وجهت نقداً لأغلاط منهجية ولم ترصد ما هية المنهج ومن مؤسسه ولاسيما أن د. لاهاي اغلفت عن هذا كثيراً . والناقد فاضل ثامر الذي كتب مقالة بعنوان (الرواية العراقية من منظور علم اجتماع الادب) في جريدة الشرق الاوسط بالعدد ١٥٨٢٨ . ورأى ان الباحثة قد قدمت في كتابها هذا قراءة مغايرة لسيرورة السرد العراقي وصيرورته معا من خلال منهجية اكاديمية منضبطة. وهذا رأي يخلو من الدقة الموضوعية ، يقترب من الإنشائية ، فالناقد في مقالته لم يفرق بين علم اجتماع الادب ، والدراسات الثقافية .ولم يذكر أن الباحثة لم تقدم نظرية أو منهج تؤسس عليه قرائتها المغايرة .

(٤٩) من الأدب إلى العلم (دراسة في علم اجتماع القصة والرواية العراقية للفترة ١٩٢٠ ـ ٢٠٢٠) : د. لاهاي عبدالحسين ، دار الشؤون الثقافية . بغداد ط١ ٢٠٢١ : ص ٨ ، ٩ .
(٥٠) المصدر السابق : ٤٩٧

المصادر والمراجع :

١ البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام : محمد رشيد ثابت، الدار العربية للكتاب . بيروت ط١ .
٢. التحليل الاجتماعي : السيد يسن ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ط٢ ، ١٩٨٢
٣ . الرواية التاريخة : جورج لوكاتش ، ترجمة : د. صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية . بغداد ط٢ ١٩٨٦

٤. الأدب المقارن : محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة . بيروت ط٢ ، ١٩٦٢
٥. الإله المحتجب دراسة عن الرؤية المأساوية في الأفكار لباسكال وفي مسرح راسين : لوسيان غولدمان ، ترجمة : عزيزة أحمد سعيد ، مراجعة : أنور غيث ، صادرة عن المركز القومي للترجمة في مصر عام ٢٠١٥ طبعتها الأولى.
٥. الإله المخفي : لوسيان غولدمان ، ترجمة د. زبيدة القاضي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة . دمشق ط١.
٦ . الكلمة في الرواية : ميخائيل باختين ، ترجمة : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق ط١ ١٩٨٨
٧. الملحمة والرواية : ميخائيل باختين : ترجمة جمال شحيد ، الفكر العربي ـ بيروت ط١ ١٩٨٢
٨. المدخل الاجتماعي للأدب من علم اجتماع الادب إلى النقد الأدبي الشامل : سيد بحراوي ، دار الثقافة العربية . مصر د. ط د.ت.
٩. النقد الاجتماعي : حول علم اجتماع النص بير زيما ، ترجمة : عايدة لطفي ، مراجعة : د. امينة رشيد ، د سيد بحراوي ، دار الفكر للدراسات والتوزيع ط١ .
١٠. المنهجية في علم اجتماع الأدب : لوسيان غولدمان ، ترجمة : مصطفى المسناوي ، دار الحداثة للطباعة والنشر . بيروت ، ط١ ١٩٨٢.

١١. سوسيولجيا الغزل العربي: الطاهر حبيب ، دار عيون ، دار الطليعة . بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ .
١٢ . علم اجتماع الأدب : د. سيد بحراوي : الشركة العالمية للنشر ـ لونجمان ط١ ١٩٩٢.
١٣ . في سبيل الواقعية (بيلنسكي ، تيشر نيشيفسكي ، دوربرليوبوف) : لافريتسكي ، ترجمة: د. نصيف التكريتي ، مراجعة حياة شرارة ، دار المعرفة . بيروت ط١ ١٩٨٠
١٤. محاولات في دراسة علم اجتماع الأدب : د. نوري حمودي القيسي ، دار الشوؤن الثقافية العامة . بغداد ط١ ، ١٩٨٧ ١٤ . مقدمات سوسيولوجيا الرواية : لوسيان غولدمان ، ترجمة : بدر الدين عروكي ، مكتبة الاسكدرية ط١ ، ١٩٩٣.

١٥. من الأدب إلى العلم (دراسة في علم اجتماع القصة والرواية العراقية للفترة ١٩٢٠ ـ ٢٠٢٠) : د. لاهاي عبدالحسين ، دار الشؤون الثقافية . بغداد ط١ ٢٠٢١.
١٦ . نظرية الرواية : جورج لوكاتش : ترجمة وتقديم : نزيه الشوفي ، دار كيوان للطباعة والنشر ، ط٢ ٢٠١٦.

الرسائل والدوريات :
١ . ابن حداد الاندلسي : سؤؤدة محمد جاسم ، رسالة ماجسير جامعة بغداد .كلية ابن الرشد ٢٠٢٠ .
٢ . رسالة الصاحب بن عباد التبشير بالفتوح اختيارا لدراسة نقدية في ضوء علم اجتماع الأدب : زكي عباس راضي ، مجلة العميد، مج ١٠ .
المقالات :
١ . الرواية العراقية من منظور علم الاجتماع : فاضل ثامر ، جريدة الشرق الاوسط ١٥٨٢٨ .
٢. حين يكون النقد مطية للأدعياء والطارئين : د. نادية هناوي ، جريدة الزمان .
٣. علم اجتماع الادب ام علم الاجتماع؟ : موج يوسف ، جريدة الصباح العدد ٥٣٠٠ .
٤. في كتاب من العلم إلى الأدب اغلاط البحث الاجتماعي : د. نادية هناوي جريدة الزمان .

Sources and references :

1 -The narrative structure and its social significance in the hadith of Isa bin Hisham: Muhammad Rashid Thabet - Arab Book House - Beirut - 1st Edition .

2 .Social Analysis: Mr. Yassin, Madbouly Library, Cairo, 2nd Edition, 1982

.The historical novel: George Lukács - translated by: Dr. Saleh Jawad Al-Kazim - House of Cultural Affairs Baghdad - 2nd Edition 1986

4 .Comparative Literature: Muhammad Ghonimi Hilal, Dar Al-Thaqafa, Beirut, 2nd Edition, 1962

5 .The Veiled God: A Study of the Tragic Vision in Ideas by Pascal and in the Racine Theater: Lucien Goldman, translated by: Aziza Ahmed Said, reviewed: Anwar Ghaith, issued by the National Center for Translation in Egypt in 2015, first edition.

5 .The Hidden God: Lucien Goldman, translated by Dr. Zubaida Al-Qadi, publications of the Syrian General Book Authority, Ministry of Culture, Damascus, 1st Edition .

6 . The word in the novel: Mikhail Bakhtin - translated by: Youssef Hallaq - publications of the Ministry of Culture - Damascus - 1st Edition 1988

7 .The Epic and the Novel: Mikhail Bakhtin: Translated by Jamal Shahid, Arab Thought Beirut 1st Edition 1982

8 .Social Introduction to Literature from the Sociology of Literature to Comprehensive Literary Criticism: Sayed Bahrawy, House of Arab Culture Egypt d .

9 .Social criticism: on the sociology of the text Pier Zima, translated by: Aida Lotfi, review: Dr. Amina Rashid, Dr. Sayed Bahrawi, Dar Al-Fikr for Studies and Distribution, 1st Edition .

10 .Methodology in the Sociology of Literature: Lucien Goldman, translated by: Mustafa Al-Masnawi, Dar Al-Hadatha for Printing and Publishing, Beirut, 1st Edition 1982 .
11 .Sociology of Arabic Spinning: Taher Habib, Dar Oyoun, Dar Al-Tali'a Beirut, 1st Edition, 1987 .
12 . Sociology of Literature: Dr. Sayed Bahrawi: International Publishing Company Longman, 1st Edition, 1992 .
13 . For the sake of realism (Belinsky - Tescher Nishevsky - Dorberlyubov): Lavritsky - translated by: Dr. Nassif Al-Tikriti - Review of the life of Sharara - Dar Al-Maarifa Beirut - 1st Edition 1980
14 .Attempts in the study of the sociology of literature: d. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Dar Al-Shun Al-Thaqafa Al-Ghadam, Baghdad, 1st Edition, 1987 14. Introductions to the Sociology of the Novel: Lucien Goldman, translated by: Badr Al-Din Arouki, Al-Iskadriyah Library, 1st Edition, 1993.

15 .From literature to science (a study in the sociology of the Iraqi story and novel for the period 1920-2020): Dr. The Hague Abdul Hussein, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition, 2021 .
16 . Theory of the novel: George Lukács: Translation and presentation: Nazih Al-Shoufi, Dar Kiwan for Printing and Publishing, 2nd Edition 2016 .

Letters and periodicals :
1 . Ibn Haddad Al-Andalusi: Su'udah Muhammad Jassim - Master's Thesis - University of Baghdad - Ibn Al-Rushd College 2020 .
2 . The message of Sahib bin Abbad preaching the conquest as a choice for a critical study in the light of the sociology of literature: Zaki Abbas Radi - Al-Ameed Magazine - volume 10 .
Essays :

.The Iraqi novel from the perspective of sociology: Fadel Thamer, Asharq Al-Awsat newspaper 15828.

2 .When criticism is a ride for pretenders and emergencies: Dr. Nadia Hanawi, Al-Zaman newspaper.

3 .Sociology of literature or sociology? : Moj Youssef, Al-Sabah newspaper, issue 5300 .

4. In the book From Science to Literature The Mistakes of Social Research: Dr. Nadia Hanawi Al-Zaman Newspaper